.4

الكاريزما

إذا طرحنا سؤالاً على القديس بولس مفداه: ما هي الفئة المناسبة لتصنيف الحياة المُكَرسة في رأيك؟ مما لا شك فيه إجابته المتوقعة: الموهبة أو العطية التي يمنحها الروح القدس لأجل خير الكنيسة. فهذه طريقته في وصف تنوع المواهب الروحية في الكنيسة، فهو الذي أعطى البعض أن يكونوا رُسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين: "7وكُلُّ وَاحِدٍ يُعْطَى مَوْهِبَةً يَتَجَلَّى الرُّوحُ فِيهَا مِنْ أَجْلِ الخَيْرِ العَام. 8 فوَاحِدٌ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلاَمَ الحِكْمَة، وآخَرُ كَلاَمَ المَعْرِفَة، وَفْقًا لِلرُّوح عَيْنِهِ؛ 9وآخَرُ الإِيْمَانَ فِي الرُّوحِ عَيْنِهِ؛ وآخَرُ مَوَاهِبَ الشِّفَاءِ فِي الرُّوحِ الوَاحِد؛ 10وآخَرُ الأَعْمَالَ القَدِيرَة، وآخَرُ النُّبُوءَة، وآخَرُ تَمْيِيزَ الأَرْوَاح، وآخَرُ أَنْوَاعَ الأَلْسُن، وآخَرُ تَرْجَمَةَ الأَلْسُن"؛ "28فقَدْ وَضَعَ اللهُ فِي الكَنِيسَةِ الرُّسُلَ أَوَّلاً، والأَنْبِيَاءَ ثَانِيًا، والمُعَلِّمِينَ ثَالِثًا، ثُمَّ الأَعْمَالَ القَدِيرَة، ثُمَّ مَوَاهِبَ الشِّفَاء، وَإِعَانَةَ الآخَرِين، وحُسْنَ التَّدْبِير، وأَنْوَاعَ الأَلْسُن. 29أَلَعَلَّ الجَمِيعَ رُسُل؟ أَلَعَلَّ الجَمِيعَ أَنْبِيَاء؟ أَلَعَلَّ الجَمِيعَ مُعَلِّمُون؟ أَلَعَلَّ الجَمِيعَ صَانِعُو أَعْمَالٍ قَدِيرَة؟ 30أَلَعَلَّ لِلجَمِيعِ مَوَاهِبَ الشِّفَاء؟ أَلَعَلَّ الجَمِيعَ يَتَكَلَّمُونَ بِالأَلْسُن؟ أَلَعَلَّ الجَمِيعَ يُتَرْجِمُونَ الأَلْسُن؟ (1 كورنثوس 12: 7- 10؛ 28- 30؛ روميه 12: 6- 8؛ أفسس 4: 11- 12).

فتنوع المهام والخدمات وتكاملها ترجع، وفقا للرسول بولس، إلى الروح الواحد الذي يمنحها لكل واحدٍ لأجل خير الكنيسة والعالم. ففي رسالته الأولى إلى كورنثوس 7: 7 يُشير إلى البتولية والزواج كنمطي حياة ينبعان من اختلاف "الموهبة" التي يَّخص بها الله الإنسان: "فأنا أتَمنى لَو كانَ جميعُ الناسِ مِثْلي (غير مرتبط بزوج مثل سائر الرسل وأخوة الرب وبطرس "1كور 9:5"). ولكِنْ لِكُلِّ إنسانٍ هِبَةٍ خَصَّهُ الله بِها، فبَعضُهُم هذِهِ وبَعضُهُم تِلكَ". فالمهام، حتى المتعارضة والمختلفة فيما بينها، تبع من مواهب مختلفة يمنحها الله الواحد.

1.4. معنى كلمة "كاريزما"

إنّ كلمة كاريزما اليونانيّة تدلّ على العطيَّة. لا نجد هذه اللفظة إلاّ في الرسائل البولسيّة (١٦ مرّة) وفي ١ بط 4: 10 "ولِيَضَعْ كُلُّ واحدٍ مِنكُم في خِدمَةِ الآخَرينَ ما نالَهُ مِنْ مَوهِبَةٍ، كَوُكَلاءَ

صالِحينَ على مَواهبِ الله المُتَنوِّعَةِ." إنّ "كاريزما" هي عطيّة مجانيّة، علويّة (فائقة الطبيعة)، تعطى من أجل الخير العام لبناء جسد المسيح. (الكاريزما) تُدْعَى أَيْضًا "موهبة لدُنيّة": "هي نعمة خاصّة من الروح القدس معطاة لأشخاص لخير البشر، وتلبية حاجات المؤمنين، وخصوصًا لبناء الكنيسة. وتَمييز هذه المواهب يعود إلى السلطة في الكنيسة" (مختصر التعليم المسيحي الكاثوليكيّ عدد ١٦٠).

المعنى العام: لا شكّ أن هناك مواهب موروثة يملكها الإنسان منذ ولادته، وهي مواهب طبيعيّة، وهناك المواهب السبعة التي يهبها الروح القدس في سرّ التثبيت: "ويَحِلُّ علَيه روحُ الرَّبّ روحُ الحِكمَةِ والفَهْم روحُ المَشورَةِ والقُوَّة روحُ المعرفةِ وتَقوى الرَّبّ (التقوى ومخافة الرب)" (أش ١١/ ١-٢). وهناك المواهب التي يُعطينا إيّاها الروح لخير الكنيسة وللخير العام كما ذكرها بولس الرسول في كتاباته.

2.4. المفهوم العام للموهبة

الموهبة الروحيّة تُمنح إلى شخص أو إلى جماعة وتشعّ بأقوال أو بأعمال مَن يأخذها، مُظهرة بذلك عمل الروح القدس من أجل نُموّ الكنيسة وحيويّتها كما يقول القدّيس بولس: "كذلك أنتم الَّذين تطمحُون إلى المواهب الروحيّة، فاطلبوا أن يتوافر نصيبُكم منهَا لبُنيانِ الجماعَة" (١كور١٤/ ١٢).

من اللافت أنّ سفر الأعمال لا يستعمل مرّة واحدة لفظَة "كاريزما"، مع أنّ هذا الكتاب يعتبر "إنجيل الروح القدس". هذا قد يعني فقط أنّ المواهب لا تحتلّ الأهميّة الأولى في الكنيسة الفتيّة. وقد لاحظنا أنّ بولس أعاد الأمور إلى نصابها في ١ كور. في أع ٢/ ٣٨، ساعة سأل الجموع الرسل أن يقولوا لهم ما يجب أن يعملوه، أجاب بطرس: "تُوبُوا وليعتمدْ كُلُّ واحدٍ منكُم باسمِ يسُوعَ المسيحِ فتُغفرَ خطاياكُم ويُنعَم عليكُم بالرُوحِ القُدس". الكلمة اليونانيّة هنا هي "دوريا". أمّا في ١كور فنجد كلمة "كاريزما."

هناك فرق إذن بين الموهبة والعطيّة. إنّ (دوريا) عطيّة الروح هي النتيجة المباشرة للمعموديّة (رسل ١١/ ١٧) "فإذا كانَ الله وهَبَ هَؤلاءِ ما وهَبَنا نَحنُ عِندَما آمنا بالرَّبِّ يَسوعَ المَسيحِ، فمَنْ أكونُ أنا لأُقاوِمَ الله؟"، حيث تتساوى عطيّة المعموديّة وعطيّة الروح القدس، ومن هذه العطيّة تصدر سائر العطايا، وسائر المواهب (الكاريزمات).

لسنا أمام مظاهر مختلفة للروح القدس، بل أمام عطيّة الله الَّتي هي قبل كلّ شيء الدعوة المسيحيّة. فإن تجلَّت بعض المواهب، فمن أجل خير الجماعة، ولبناء جميع أعضاء الكنيسة، لا لبناء عضو واحد.

إنّ بولس هو الّذي أدخل لفظة (الكاريزما) إلى اللغة المسيحيّة إنطلاقًا من العالَم الهلّيني، هي نتيجة "كاريس" (أي: النعمة) كعمل وإحسان وهديّة.

وفي روم ٥ / ١٥ ي و ٦/ ٣٦، تبدو اللفظة محدّدة فتعني خيرًا خاصًّا، التبرير، الحياة الأبديّة. وفي روم ١١/ ٢٩، تدلّ على الخيرات الَّتي أُعطيت لشعب إسرائيل. وفي ١ كور١/ ٥ تدلّ على مجمل الخيرات المعطاة للجماعة من أجل تثبيتها في شهادة المسيح. وفي ٢ كور ١/ ١١، تعود بنا كريزما إلى خلاصٍ نَعِمَ بهِ الرسول بولس. وفي ١ كور ٧/ ٧ تُوجّه كاريزما أنظارَنا إلى بناء الجماعة المسيحية، من سائر المسيحيين المتزوجين، وآخرين فضلوا البقاء غير متزوجين: "فأنا أتَمنى لَو كانَ جميعُ الناسِ مِثْلي. ولكِنْ لِكُلِّ إنسانٍ هِبَةٍ خَصَّهُ الله بِها، فبَعضُهُم هذِهِ وبَعضُهُم تِلكَ."

يستخدم بولس هنا الكاريزما لوصف حالتي الزواج والبتولية ويزيد على ذلك بقوله: " أُريدُ أن تكونوا مِنْ دُونِ هَمٍّ. فغَيرُ المُتَزوِّجِ يَهتَمُّ بأمورِ الرَّبِّ وكيفَ يُرضي الرَّبَ، والمُتَزَوِّجُ يَهتَمُّ بأمورِ العالَمِ وكيفَ يُرضي اَمرأتَهُ، فهوَ مُنقَسِمٌ. وكذلِكَ العَذراءُ والمرأةُ التي لا زَوجَ لها تَهتَمّانِ بأُمورِ الرَّبِّ وكيفَ تَنالانِ القَداسَةَ جسَدًا ورُوحًا، وأمَّا المُتزوِّجةُ فتَهتَمُّ بأُمورِ العالَمِ وكيفَ تُرضي زَوجَها. أقولُ هذا لِخَيرِكُم، لا لأُلقيَ علَيكُم قَيدًا، بَلْ لِتَعمَلوا ما هوَ لائِقٍ وتَخدُموا الرَّبَ مِنْ دونِ اَرتِباكٍ" (1 كورنثوس 7: 32- 35).

3.4. كاريزما البتولية في الحياة الرهبانية

لكن ما هي تلك "المواهب" التي تمنح لبعض الأشخاص ليكونوا "مكرسين"، أو بالأحرى ما هي تلك المواهب التي تُميز الحياة الرهبانية باعتبارها نمط حياة خاص في الكنيسة. هناك تيار قديم داخل الكنيسة اللاتينية أشار إلى إن المواهب التي تميز الحياة الرهبانية هي "المشورات الإنجيلية" استنادًا على تعليم بولس في رسالته الأولى إلى كورنثوس 7: 25 " أَمَّا فِي شَأْنِ البَتُولِيَّة، فَلَيْسَ لِي فِيهَا أَمْرٌ مِنَ الرَّبّ، لكِنِّي أُبْدي رَأْيًا، كَرَجُلٍ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ أَنْ يَكُونَ أَمينًا".

يعود تعبير "المشورات الإنجيلية" كنمط حياة مثالي لإتباع المسيح والإقتداء به إلى لاهوتي القرن الثاني عشر. وقد تبنى المجمع الفاتيكاني الثاني هذا الطرح في دستور نور الأمم، فاعتبر الحياة الرهبانية هي نمط حياة يكرس فيها الإنسان نفسه بالكلية إلى الله الذي يُحبه فوق كل شيء من خلال "ثلاث مشورات"، بذات المصطلح الذي استخدمه توما الأكويني، الذي رتبها كالتالي: فقر، عفة دائمة، طاعة.

بالعودة إلى الإنجيل نجد إن بولس قد ربط بين كلمة "الكاريزما- الموهبة" بالبتولية، ولا نجد في نصوص الكتاب ربط بين الكاريزما والفقر أو الكاريزما والطاعة. فالزواج والبتولية هما وجهان لكاريزما واحدة ويمثلان دعوة واحدة يمكن الوصول إليها بطريقتين مختلفتين. إن الإنسان كفرد

لا يمكن أن يُعبّر عن ذاته وأن يُحقق ذاته كشخصية متكاملة إلا من خلال تعامله مع الآخرين. يتم تلبية هذا الاحتياج الإنساني العميق (البعد الأنثروبولوجي) في الزواج عن طريق التواصل مع شريك الحياة وتحقيق الذات بمساعدته، أما الرهبنة فهذا الشريك هو الله.

كلا الطريقين يجمعهما العفة التي يجب يكون عليها البتول أو المتزوج. فالبتولية هو طريقة مختلفة لعيش الوجود البشري والعلاقة مع الله ومع الآخرين. لا تنحصر البتولية هنا في البعد الجنسي الذي يعيشه المكرس بعفةٍ من عدمه، لكن تمتد إلى اختيار وجودي للحياة. هي موهبة من مواهب الروح تمكن الإنسان من تركيز الحياة بكاملها على الله وفيه، حيث يتخلي الإنسان عن وعي وبكامل إرادته ليس عن الزواج فحسب، بل عن أشياء أخرى كثيرة مسموحة للناس العاديين ليُركز على الله إلى أقصى درجة ممكنة ويكرس له حياته وأفكاره وأعماله، ومن هذه الناحية تتشابه الرهبنة مع الزواج. ولذلك نجد الكثير من آباء الكنيسة يقارنون بين حياة الرهبنة والحياة الزوجية ويتكلمون عن تطلع روح الإنسان إلى الله بنفس التعابير والصور التي يصفون بها الحياة الزوجية. والدليل على ذلك هو الاعتماد على سفر نشيد الأنشاد بشكل واسع في مؤلفات النساك حول الرهبنة نظرا لأن هذا النص الذي يتناول موضوع الحب بين رجل وامرأة يلمس الأعماق الروحية للإنسان مما يجعلنا نفهم هذا السفر كأنه يتحدث عن المحبة الموجودة بين روح الإنسان والله. إن روح المسيحي هي عروس المسيح ومن هذه الناحية يتضح أن طريق الرهبنة يفتح المجال لتحقيق التطلع إلى الاقتران الذي لا يخلو منه أي إنسان. إن كل ما ينقص الفرد ليصبح شخصية متكاملة وليدرك كيانه الشخصي عن طريق التعامل مع الآخرين يتحقق في الرهبنة من خلال التواصل مع الله.

قبل تحديد لاهوتي القرن الثاني عشر للمشورات الإنجيلية بالشكل المتعارف عليه الآن: العفة والطاعة والفقر، كان الوصف السائد للحياة الرهبانية بحياة البتولية، تمييزًا لها عن الحياة العلمانية لعموم المسيحيين. إضافة للسبب السابق ذكره من حصر بولس الرسول للكاريزما في البتولية وصمت الأناجيل عن الاشارة للفقر بإنه موهبة مثلها مثل البتولية، هناك اختلاف فيما بين البتولية والفقر: لكون الأولى هي دعوة خاصة للبعض في إطار الحياة الإنجيلية، كما يتضح من لاهوت القديس بولس، أما الفقر فهو دعوة للجميع من حيث كونهم تلاميذ للمسيح بتفضيل شخص يسوع على الممتلكات، وأن يُشارك الآخرين، ولا سيما الفقراء في جميع الخيرات المادية.

أمرٌ أخر: البتولية هي تغيير كامل وحصري للوجود البشري الذي ينزع إلى الشراكة مع جنس آخر، كما نقرأ في سفر التكوين "ليس جيدًا أن يكون آدم وحده". أما الفقر فإن العلاقة مع الأشياء المادية لا تنعدم ولا تأخذ منحى جديد للحياة، وإنما فقط تُحدد وتُقنن. هذا لأن الإنسان لا يستطيع العيش دون رباطات مع الأشياء المادية وامتلاك بعضها. فالأمانة لشخص يسوع تستدعي

الحرية الداخلية تجاه العالم المادي توسع قلبه فيُحب الله وأخاه الإنسان بقلبٍ غير منقسم. فكلمات يسوع عن التخلي المادي ليست محصورة في التنازل عن استخدام ماهو مادي في الحياة، لأن هذا الأمر مستحيل، ولكن في حُب الله حُبًا تفضيليًا على الأشياء، والثقة في عنايته الساهرة وتحقيق ملكوت الله بتقاسم الخيرات مع الفئات الأكثر احتياجًا (سنة اليوبيل). فالفقر وحده لم يؤسس نمط حياة مختلف عن عموم المسيحيين. إن تخلي عن الممتلكات المادية لم يكن قاصرًا على الجماعات الرهبانية بل امتد لجموع كثيرة من العائلات المسيحية التي آمنت بتفضيل الله على الأشياء وعلى الثقة في عنايته الساهرة لهم. عُد التخلي المادي بمثابة إضافة إلى البتولية، الركيزة الأساسية للحياة الرهبانية، وتدعيمًا لها. ظهر التخلى المادي كعنصر أساسي للحياة الرهبانية مع نظام الجماعات الرهبانية على يد باخوميوس وشنودة، وتحول من التخلي عن الخيرات المادية إلى شركة وتقاسم الخيرات. أخذ التخلى المادي، الفقر، صفة النذر الرهباني فقط مع شنودة الأتريبي.

فحياة البتولية هي الكاريزما الخاصة بنمط الحياة الرهبانية والعنصر الجذري الذي يميزها عن باقي فئات الكنيسة من علمانيين وكهنة. فالمكرس، لاهوتيا وروحيا، يُقبل على البتولية كنمط حياة خاص ومختلف قاصرًا حياته على شخص يسوع المسيح، ليس فقط على المستوى الروحي بأن يحب الله فوق كل شيء وكل شخص، لأن عموم المسيحيين مدعويين لمحبة الله بهذه الصورة عملاً بوصيته، لكن أيضًا على المستوى العاطفي والبيولوجي. إلا إن هذه الكاريزما تحتاج إلى أنواع أخرى من التخلي، كالتخلي المادي والتخلي عن الاستقلالية الذاتية المتمثلة في نذر الطاعة.

4.4. هبة الكاريزما الخاصة

نقطة البداية للتفكير اللاهوتي في طبيعة الكاريزما في الحياة الرهبانية الخاصة، هي مشتركة مع كافة الكاريزمات في الكنيسة، فتعدد المواهب لا يتناقض مع ينبوعها، وهو الروح القدس: "فالمَواهِبُ الرُّوحِيَّةُ على أنواعٍ، ولكِنَ الرُّوحَ الذي يَمنَحُها واحدٌ". لقد أُعطيت مَجَّانًا من قبل الروح القدس لاستعمالِها للخير العام. إنّ كلّ المواهب أعطيت لبنيان جسد المسيح، فقد جاء المسيح ليؤسّس كنيسته لا ليدعُوَ أفرادًا فقط. وعندما يدعوهم فإنّما لينضمّوا إلى جسده كأعضاء فيه. والموهبة إذ تُعطى لعضو، فهي لا تُعطى لشخصه أو لذاته، بل تُعطى له لأنّه عضو في جسد المسيح. ولذلك عليه أن يعمل لأجل الكنيسة. ودور الإنسان في هذه الحالة هي التجاوب وقبول تلك الموهبة من الروح أو رفضها. أو قبولها واعتبارها ملكً له وهما ذات الخطران اللذان اشرنا إليهما عند الكلام على التكريس.

هبة الحياة الرهبانية تُميزها عن غيرها من الأنماط الأخرى داخل الكنيسة الواحدة مثل

العلمانيين والاكليروس. وفيها يتجاوب المكرس مع الروح القدس الذي يُفرزه لحياة مختلفة، هي الحياة التي اختصها لنفسه ابن الله الوحيد في مسيرته على الأرض. لقد اختار يسوع أن يعيش نمطًا مُعينًا فاختار أن يعيش فقيرًا، مُتبتِّلا ومُطيعًا. الموهبة التي تُعطى للشخص هي موهبة روحية تمكنه من يختار يسوع المسيح الفقير، المُتبتل والمُطيع. لا يختار المكرس الفقر ولا التبتل ولا الطاعة كأدوات للقداسة، بل يختار يسوع الفقر والمُطيع والمُتبتل، فهو يختار شخص يسوع المسيح، وبالتالي ما عاشه يسوع وكيفما عاشه والسبب الذي لأجله عاشه. ودافع المُكرس لنذر النذور الرهبانية هو شخص يسوع الذي سبقه في اختياره إيّاها، اقتداءً وتشبُّها وتمثُّلا منه به فقيرًا مُتبتلاً ومُطيعًا.

5.4. البعد الكنسي للكاريزما

يُعلم بولس في رسائله، خاصة لأهل كورنثوس، إن المواهب أُعطيت لبنيان جسد المسيح الذي جاء ليؤسس كنيسته. فتنوع الخدمات في الكنيسة هي التي تُفسر هذا التنوع في المواهب مثل: النبوءة، الشفاء، تمييز الأرواح، التكلم بالألسن وهكذا. بالمثل تحتاج الكنيسة إلى كل النمطين الذي أشار إليهما بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: البتولية والزواج، للعائلات وللجماعات الرهبانية، التي يمنحها "الروح الواحد" لكنيسته. فالكنيسة في حاجة للجميع لأجل أن تصل بشرى الخلاص إلى العالم أجمع. فليس هناك دعوة مُميزة عن أخرى، فالكنيسة في حاجة إلى الجميع.

تعكس الحياة الرهبانية بصورة أكثر وضوحًا البعد الاسكاتولوجي لشعب الله. فيحمل كل مكرس تلك الرغبة القوية لدخول ملكوت السموات واللقاء بالله الآب. فإذا كان الرب هو كل شيء في حياة المكرس (ما تتطلبه العفة) فإن رجاؤه يوجد في إمكانية لقاؤه. ولهذا فإن المكرسين طوال تاريخ الحياة المكرسة شبهوا فترة التواجد على الأرض بمثل فترة الخطوبة بين العروس والعريس والتي فيها سيكمل فرح اللقاء في الحياة الأبدية. آباء البرية المصرية يعبرون عن فترة تواجدهم في الحياة كفترة سفر أو انتقال إلى حين الوصول إلى ملكوت السموات. وفي وقتنا المعاصر فإن حالات الاغتراب والقلق التي يعاني منها إنسان اليوم ترجع إلى رغبة قوية في لقاء المطلق، في حين إجابته على هذه الرغبة القوية متضاربة وغير جذرية. تقدم الحياة المكرسة إجابة جذرية من خلال التكريس الكامل بصفة عامة، ونذر العفة بصفة خاصة على تلك الرغبة في لقاء المطلق. فاختيار حياة العفة والبتولية في حد ذاته يُعد بمثابة إعلان عن العالم الآتي والغير قابل للفساد إستنادًا لتعاليم القديس أغسطينوس Evirginitas est in carne corruptibili perpeta incorruptibilitatisوالتي تعنى أن البتولية تتطلب في الشخص التفكير المستمر بأنه غير قابل للفساد، في حين إنه يعيش في جسد قابل للفساد .

المشورات الإنجيلية في حد ذاتها ذات طابع اسكاتولوجي لأن الراهب الذي يعيش وفقًا لهذه المشورات يعلن عن موته بصفة يومية عن حياة العالم. وفي لحظة الموت "الطبيعي" يكون الإنسان مطيعًا أكثر من أي وقت مضى، مطيعًا للدعوة الإلهية بانتهاء فترة حياته على الأرض، يكون فقيرًا وخاليًا من أي عاطفة. المكرس يعلن من خلال حياته عن موته عن العالم. ولعل طقس النذور الدائمة لكثير من الرهبانيات يعكس بعمق هذه الفكرة. واعلان المكرس عن موته عن العالم لا يعنى اعترافه بأن الموت هو نهاية كل شيء، بل على العكس هو البداية لحياة أبدية طال انتظارها والاستعداد لها.

هناك جانب آخر متعلق بالناحية الإرسالة للحياة المكرسة. فالاسكاتولوجية تعنى الأمور المستقبلية المتعلقة بالحياة الأخرى. فالتطلع بانتظار ملكوت السموات لا يعنى إطلاقًا الانتقال والابتعاد عن الحياة العملية والمسئولية تجاه مشكلاتها اليومية وتقديم يد المساعدة للمحتاجين كي يستطيعوا تجاوز صعوباتها والتغلب عليها. التكريس يتطلب البدء الآن في تأسيس ملكوت السموات وجميع أعمال المحبة والخير المقدمة من المكرسين هي بمثابة مساهمتهم في بناء ملكوت السموات. ويجب التنويه بأن الانفتاح على الاحتياجات اليومية لا تعنى في ذات الوقت الإنغماس فيها للدرجة التي ينسى معها المكرس إنه ليس من هذا العالم، بل ينتظر أرض جديدة وسموات جديدة.

الجانب الأخير المرتبط بالبعد الاسكاتولوجي خاص بالمهمة الملقاه على عاتق المكرس في بث روح التفاؤل والرجاء في مجيء ملكوت السموات لكل إنسان، خاصة أخوته المكرسين والمكرسات. في المجتمعات الغربية، حيث تسود ثقافة اللحظة الحاضرة ومحاولة الاستمتاع بها بقدر الإمكان، تظهر ضرورة أن يُعلن المكرس بحياته وشهادته عن تفاؤله بشأن المستقبل وإن الكلمة النهائية ليست للشر، بل لمجيء ملكوت السموات. يقدم بنمط حياته شهادة عن وجود مخرج لكل هذا الكم من حالات الإحباط الناتجة من هذه الثقافة، يُعلن إن الإنسان سيقابل الحب المطلق والكامل بعد الموت، وهناك ستكون الحياة الحقيقة والسعادة الدائمة. يعلن المكرس عن أول مظاهرها من خلال السلام الداخلي والاستقرار النفسي وعدم السعى القلق لإشباع رغبة زائلة تترك ورائها فراغًا أكبر. إن القلق والاغتراب الذي تعاني منه مجتمعات اليوم ناتج من تأثير تلك الثقافة فالتركيز في اللحظة الحاضرة يجعل الإنسان يشعر بقلق بخصوص مستقبله. في حين التفاؤل والرجاء الذي يقدمه المكرس يبعث على الطمأنينة في غدٍ أفضل، مملوء بالثقة في عناية الله ورعايته.

يُؤكد المجمع الفاتيكاني الثاني هذا البعد للحياة الرهبانية في دستور نور الأمم بقوله: "وبما أن شعب الله ليس له هنا مدينة ثابتة، بل يفتش عن حاضرةِ المستقبل، فالحالة الرهبانية التي تُؤَمِّنُ لأتباعها حريةً أكبر تجاه الأعباء الأرضية، تُبْرِزُ من جهةٍ وعلى نطاق أوسع الخيور السماوية، التي

هي حاضرةُ الآن في هذا الزمن أمام أعين المؤمنين أجمعين، ومن جهةٍ أخرى تشهد بوجودِ حياة جديدة وأزلية اكتُسِبَت بفضل سر الفداء، وتنبئ أخيراً بالقيامة المرجوَّة، وبمجدِ ملكوت السماوات" (ن. أ: 44). على نفس المنوال يلفت الارشاد الرسولي "الحياة المكرسة" إلى الطابع الأخروي في الحياة المكرسة. فهي الآية الأخروية (البند 26): "فالتعليم الثابت في الكنيسة يرى في الحياة المكرسة استباقًا للملكوت الآتي. وهذا ما يحققه اختيار العفة الذي ظل دومًا في نظر التقليد استباقًا للعالم النهائي الذي يعمل، منذ الآن في الإنسان ويحول كل كيانه. ان الذين كرسوا حياتهم للمسيح لا يسعهم إلاّ أن يعيشوا في التشوق إلى لقائه، ليتمكنوا من أن يكونوا معه دائمًا. من هنا ذالك الترقب المتوقّد. من هنا التوق إلى الغوص في آتون الحب المضطرم فيه، وهو الروح القدس عينه، ترقب وتوق تدعمها المواهب التي يجود بهال الرب حرًا على الذين يسعون إلى الأمور التي في العلى(كولوس 3" 1). الشخص المكرس الذي يشخص بنظره إلى أمور الرب، يذكرنا "بان ليس هنا مدينة باقية" (عبرانيين 13: 14)، لأن "موطننا في السموات" (فيلبي 3: 20). وليس لنا حاجة إلاّ أن "نطلب ملكوت الله وبره" (متى 6: 33)، ملتمسين بلا انقطاع مجيء الرب."

استندت تحديدات المجمع الفاتيكاني على تراث الآباء الذي عَّرفوا الحياة الرهبانية على إنها استعادة الحياة الملائكية والفردوسية التي عاشها آدم قبل السقوط. يتساءل القديس يوحنا ذهبي الفم، في أي شيء ينقص الراهب عن آدم آنذاك إذا كان "يتحاور ويتحادث مع الله بضمير وذهن نقيين؟" وراهب كهذا، بالعمق، له دالة على الله أكثر من تلك التي كانت لآدم بقدر ما هو "فيض النعمة" اليوم أغزر منه في السابق.

إذا كان لجوق الملائكة وظيفتان- خدمتان- هما تسبيح الله من ناحية والعمل لخلاص البشر من ناحية ثانية، عندها الرهبان، بما أنهم يقومون بهاتين المهمتين عينهما، هم بالعمق "ملائكة في أجسام بشرية". هذا ما يحصل عندما يحني الرهبان ركبهم مسبحين الله "طالبين بدالة للآخرين، وغير طالبين شيئاً لهم من هذه الدنيا"، أيضاً عندما يخدمون حتى بأتعابهم الجسدية خلاص الآخرين.

من جهة أخرى، فإن الرهبان لا يشتركون مع الملائكة فقط بنوع الخدمة وإنما أيضاً، مسلكية حياتهم وسيرتهم. يخضعون بالفعل للحاجات الأرضية كونهم في أجساد، ولكنهم في الوقت نفسه "يسلكون مسلكاً سماوياً". غير قادرين أن ينتقلوا إلى عالم الملائكة بأجسادهم الفانية، ولكنهم ينقلون إلى الأرض المسلكية السماوية التي للملائكة. ولولا القليل من نومهم وطعامهم، لحسبانهم غير متجسمين. فالرهبنة في الجوهر ليست نقلاً للناس خارج العالم، وإنما تحقيق للملكوت على الأرض، فهو الخليقة الجديدة في قلب العالم. وفي هذا المضمار فإن البتولية هي أكثر من التحرر من العوائق والواجبات الكثيرة التي يخلقها الزواج، بل في الوصول من الآن إلى شكل تلك الحياة المنتظرة.

6.4. البعد الشخصي للكاريزما

يرتكز البعد الشخص للكاريزما على قاعدتين أساسيتين: خدمة الكنيسة والسبل التي يمكن من خلالها الوصول إلى القداسة. كلا القاعدتين مرتبطتين معا وتصلنان إلى نفس الهدف. فالدعوة الرهبانية هي دعوة فريدة لخدمة الله والكنيسة، وفي ذات الوقت هي دعوة شخصية للمكرس ليصل إلى النضوج المسيحي والقداسة. وهذا يعنى إن دعوة المكرس لها شقين أساسين: سعى المكرس الدؤوب لخدمة الله والكنيسة هي في ذات الوقت سعيه نحو قداسته الشخصية عبر الوصول إلى كمال المحبة لله وللآخرين. وكلا القاعدتين لديهم الموهبة الخاصة التي تمكن الشخص من الوصول إلى ذات الهدف الواحد، ألا وهو شخص يسوع المسيح. وتعتمدان بصفة أساسية على قدرة المكرس على استخدام الشخص لنزعاته الإنسانية الثلاث: علاقته مع العالم المادي؛ وعلاقته مع المجتمع البشري وعلاقته مع الاشخاص، استخدامًا صالحًا .

ترتبط النزعات الثلاث المُتاصّلة في الإنسان، من علاقة بعالم الأشياء والأشخاص والمجتمع، وهي نزعات دفينة عميقة في كل شخص، كما أنها نزعات صالحة في حد ذاتها لأن الله قد خلق الإنسان في علاقة بها علاقة أصلية طيبة. إلا هذه النزعات "الطيبة" تسيطر على الإنسان وتسلبه حريته الشخصية وتحول دون تفضيل الحب لله والبشر، ودون اختيار الله والبشر، ودون خدمة الله والبشر. هي الآلهة الكاذبة التي حذر منها الوحي الإلهي في خروج 30 ويتغلب عليها النزعات الثلاث باختياره النذور الرهبانية الثلاثة.

فأمام نزعة امتلاك الأشياء، ينذر المكرس نذر الفقر، لتتحرر علاقته بها، فيصبح حُرًا تجاه الممتلكات والأموال، هو حُر تجاه النزعة الامتلاكية المُتأصلة فيه، فيُحب الله حبًا تفضيليًا على الأشياء، ويشارك الفقراء في جميع الخيرات. وأمام نزعة امتلاك الأشخاص، ينذر المكرس نذر التبتل، لتتحر علاقته معهم، فيُصبح حُرًا تُجاه الجنس الآخر وتجاه الذرية. فيُحب الله حبًا تفصيليًا على الأشخاص ويُحب كل إنسان في البشرية حُبًا شُموليًا. وأمام نزعة الاستقلالية الذاتية والتسلط على الآخرين، ينذر المكرس نذر الطاعة، لتتحرر علاقته مع جميع البشر، فيصبح حُرًا تُجاه مرجعية الذات في قراراته وتصرفاته، فلا يهدف إلى التسلط على الآخرين، فهو يمتلك نفسه وليس الآخرين. يتخلى بهذا عن ذاته في سبيل أن يعمل الله من خلاله وبواسطه لأجل خلاص الآخرين. لذا يركز المجمع الفاتيكاني الثاني على مبدا الحرية الداخلية للمكرس: "أن يتحرر من أتعابٍ من شأنها أن تعيق تفتيشه عن محبةٍ حارة لله، وعبادة كاملة له، وتكريسه نفسه تكريساً صحيحاً للخدمة الإلهية"(ن. أ: 44أ).